

الفصل الثاني

الخصائص الفنية للأسلوب القصصي في القرآن الكريم

أولاً: مميزات أسلوب القصة في القرآن الكريم

والذي يمكن التعرف على مميزاته من خلال الدراسات التي تناولت الجانب الفني والأدبي في أسلوب القرآن الكريم. ومنها الدراسات التي تناولت هذا الجانب في إعجاز القرآن وهي أكثر الدراسات القديمة في الإعجاز. ويأتي في مقدمة هذه الميزات والخصائص:

١ - أسلوب مزج الموضوعات والمفاهيم المتعددة بعضها مع بعضها الآخر في مقطع واحد وذلك من أجل الخروج بصورة متكاملة لهذه المضامين مرة واحدة لما ذكرنا من أن القرآن ليس كتاباً علمياً، بل هو كتاب هداية ورحمة فهو يمزج الحقائق الكونية بالمعارف العقائدية وبالأحكام الشرعية السلوكية وبالموعظة والإرشاد والتبشير والتحذير، والعواطف والمشاعر والأحاسيس بالعقل والإدراك من أجل أن يتزكى الإنسان ويلتزم طريق الحق. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك]

٢ - تكرار الموضوعات والمفاهيم بصيغ متعددة وفي سياقات مختلفة لتأكيداها أو لتحقيق مزيد من الأغراض والأهداف المتعددة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر^(١) كما لاحظنا ذلك في حديثنا عن أغراض القصة وفي تفسير ظاهرة

(١) انظر أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٤-٥٥).

تكرار القصة.

٣ - اختلاف أسلوب القرآن في عرض الموضوعات بحسب الإيجاز والقصر والإطناب والتفصيل وكذلك بحسب الإيقاع الصوتي والتركيب اللفظي للآيات الكريمة. وذلك مراعاة للمراحل التي مرت بها الرسالة الإسلامية أو في محاولة للتأثير النفسي والروحي في المخاطبين، مما جعل أسلوب القرآن الكريم أسلوباً يختلف فيه عن كل من النثر والشعر العربي.

٤ - إن أسلوب القرآن الكريم تأثر بالهدف العام لتزول القرآن الكريم، فإن هذا الهدف كما كان له تأثير على المضمون القرآني كما أشرنا إليه سابقاً كان له تأثير على أسلوب القرآن الكريم أيضاً. وجاء الأسلوب أداة موظفة لتحقيق هذا الهدف العام.

٥ - نلاحظ دائماً بأن ذكر القصة في القرآن الكريم يأتي دائماً مرتبطاً بسياقها والآيات السابقة أو اللاحقة لها أو كليهما، وهذا يعني أن القصة ترتبط بشكل مباشر وتفصيلي بالقرآن الكريم أسلوباً ومضموناً. فالارتباط هنا والتفاعل ليس على المستوى العام للهدف فحسب، بل هو ارتباط على مستوى التفاصيل في تطبيقات هذا الهدف أيضاً.



ثانياً: الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم

أ. تنوع طريقة العرض.

يوجد في القرآن أربع طرق لعرض القصة:

(أ) ذكر ملخص القصة ثم الدخول في التفاصيل ثم سرد القصة من أولها إلى آخرها كما جاء في قصة أهل الكهف.

(ب) ذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم الدخول والابتداء بالقصة مثل قصة يوسف عليه السلام بدأت بالرؤية ثم تبدأ القصة بعد ذلك حتى النهاية.

(ج) ذكر القصة مباشرة وبدون مقدمة أو تلخيص ومثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام وقصة سليمان مع النمل والمدهد وبلقيس.

(د) تحويل القصة إلى تمثيلية تبدأ بالعرض ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها ومثال ذلك قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما للكعبة قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة].

ب. تنوع طرق المفاجأة:

(أ) فالقصة تكتتم سر المفاجأة عن البطل والقارئ حتى تكشف لهم معاً في آن واحد مثال ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف.

(ب) ومرة تكشف السر للقارئ وتترك أبطال القصة في عمية وغالبا ما يكون هذا في موضع السخرية يقول تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ

الْبَطْلَ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ [القلم].

(ج) ومرة تكشف السر للقارئ فهو خافٍ على البطل في موضع وخافٍ على القارئ والبطل في موضع آخر من القصة الواحدة مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي أحضر في غمضة عين حيث عرفنا نحن أنه بين يدي سليمان على حين ظلت بلقيس تجهل ما تعلم ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معا.

(د) وقد لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد مثل قصة المخاض لمريم العذراء.

وهكذا نرى أنّ من يقرأ القرآن لا بد وأن يتذوق حلاوته وأن يستمتع بأسلوبه المعجز الذي أذهل العرب فلو اجتمع كُتّاب القصة من المشرق إلى المغرب لما استطاعوا أن يأتوا بما جاء به القرآن الكريم من رسم للشخصيات وأحداث القصة لذلك بقي القرآن منذ نزوله وحتى الآن مصدر لإلهام الكثير من الكتاب والشعراء^(١).



(١) د. نور الدين عتر: القرآن الكريم والدراسات الأدبية.